مسرحية

الخامس من أكتوبر

للمؤلف محمد مبسط

مسرحية

الخامس من أكتوبر

للمؤلف محمد مبسط

الطبعة الأولى 2024

©
جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للكاتب

شخصيات المسرحية

الأستـــــاذ

معلمة الفزياء

معلم اللغة العربية

معلم الرياضيات

معلمة الإجتماعيات

معلم الطبيعيات

معلم اللغة الفرنسية

أستاذة المعلوميات

معلم اللغة الإنجليزية

معلم التربية الدينية

الـــــــراوي

المجـــــرم

الفصل السادس

الـــراوي : لم يأبه أحد لما سلف، فصوت سير القطار خيم على الوضع جاعلا ما حدث عابرا من العوابر العادية لا أكثر ولا أقل.

معلم التربية الدينية : (*متئكا على جانبه*)...لو لم يكن ذلك الفقيد مولوعا بالتمرد و الثورة لكان لا يزال على قيد الحياة،...أجل ! وهنا بيننا الأن، إنها لنفسه وحدها أبت قيادته الهوجاء تلك لها و إختارت الرحيل، إختارت حكمة الله...

وكم من رافض للسلم مثله عساه يبقى حيا مع كل تلك الكراهية، أسفاه !

معلمة الإجتماعيات : المرحوم، كان غير راض عن أي شيئ، بإرادته العدائية تلك، يذكرني بألمانيا في ذروة حقدها على فرنسا، فبعد أن حل السلم و الأمن الدسمين، تراه تنبش كالحية باحثة عن الشرور وجميع أنواع الفتن.

معلمـة الفزيـــاء : كلا ! بل ألمانيا بريئة ! لقد كانت مجرد دولة تدافع عن مملكتها و محاولة حفظها من أيادي الطغاط الفرنسيين.

معلمة الإجتماعيات : (*تضحك ساخرة*) هل أنت على ما يرام،.. تمزحين صحيح ؟

معلمـة الفزيـــاء : (*متفاجئة من ضحكها*) ماذا ؟ هل تسخرين من رأي الجائز...؟

معلم اللغة الإنجليزية : أظن أنكي يا معلمة الفزياء لم تفهمي قصدي بدقة أو نسيته بالكامل حين حدثتك عن المواطن التي يجوز فيها إبداء الرئي، فالمواضع التي لها مصادر معلوماتية ثابتة لا يمكن التناظر فيها أو تناول نقاشات عمياء حولها، لاسيما مع المتخصصين فيها ذوي الشهادات العليا ...

معلمـــة الفزيـــاء : لكن...؟ لكن التاريخ ليس علما ثابتا.

الأستـــاذ : بل هو كذالك، فهناك وثائق و كتابات ذات مصداقية تعيد لنا كل ما حدث و جرى في تلك الفترة...فقد كانت ألمانيا أول مشتبه به مسؤول عن نشوب الحرب العالمية الأولى.

معلمة الإجتماعيات : صحيح ! فبعد إندلاع الحرب العالمية الأولى تأزمت أوضاع أروبا الغربية الإقتصادية و الإجتماعية، و حين حاولت الدول المنتصرة فيها إعادة بث السلم و الأمان لم يجدو حلا غير تكبيل ألمانيا تلك اللبوءة الشرسة، من خلال عدة بنود صارمة قِرّرت في معاهدة ڤـرساي، التي عقدت بباريس سنة ١٩١٩م.

معلمـــة الفزيـــاء : (*ممتعضة*) أنا أعرف هذا جيدا...لكنكي نسيتي يا صغيرتي أن قبل معاهدة ڤـرساي تلك، عقد أولا مأتمر الصلح بباريس....حضره الأربعة الكبار...ثم أعلنت بعده معاهدة ڤـرساي تلك الملقبة أيضا بالسلام المفروض.

معلمة الإجتماعيات :(مندهشة بشدة) لكني أعلم ذلك ! أعلم ذلك ! يدعى أيضا مأتمر السلم، فقد حضره زعماء الدول المنتصرة و غاب عنه زعماء الدول المنهزمة، حضره الرئيس الأمريكي ويلسون، الرئيس الفرنسي كليمانصو، وزير خارجية إيطاليا أورلندو ثم وزير خارجية بريطانيا لويد جورج، تناقشوا فيه و تشاورو حول الطرق و الوسائل التي سيتبعونها لإعادة السلم و الأمن في أروبا الغربية .

أستاذ اللغة العربية :(مستشكلا) أتذكر أنه كان بمثابة بداية لمعاهدات أخرى ... كان قد خلفها، لأنهم بدأو يتوصلون من لقاء لأخر حلولا جديدة، إذ عقدت معاهدات ثانية تتعلق بدول أخربكانت لها اليد مع ألمانيا في إشعال نار الحرب.

معلمة الإجتماعيات : (مبتسمة) فعلا ! فمعاهدة ڤرساي تعلقت أغلب بنودها بألمانيا، فقد تم فرض بنود ترابية ثقيلة عليها، كإقتطاع منطقتي الألزاس و اللورين منها و إخضاع منطقة السار لسلطة عصبة الأمم. و فرضت عليها أيضا بنود عسكرية تجلت في ضرورة تخفيضها لجيشها و نزع عدد كبير من أسلحتها و أخير البنود المالية التي زادت الطين البلة، و الكامنة في فرض غرامة مالية عليها قدرت ب١٣٢ مليار مارك ألماني.

معلم الطبـيعيـات : (*متساءلا*) لكن ! ماهي عصبة الأمم يا أستاذة ؟

معلمة الإجتماعيات : إنها منظمة دولية، مقرها بمدينة جونيف السويسرية، وقد أنشئت بإقتراح من الرئيس الأمريكي ويلسون، سنة ١٩١٩ ، هدفها حفظ حقوق الإنسان و ضمان السلم و الأمن العالميين.

معلمـة الفزيـاء : (*ساخرة*) أنت تجهلين الكثير ...هناك معاهدات عدة غير معاهدة ڤرساي تلك...هناك معاهدات كثيرة...

معلمة الإجتماعيات : حقا ! إذن أخبريني عنها أيتها المتضلعة في كل شيئ!

معلمـة الفزيـاء : أجل توجد معاهدات عدة خلفها مؤتمر الصلح كما قال الأستاذ، لكنني لا أتذكر أسمائها فذاكرتي صغيرة و مملوئة بالرموز و الصيغ و القواعد و الخزعبلات التي لا أعلم لما لا أستطيع إستعملها في فضاء أخر غير فصلي الدراسي.

معلمة الإجتماعيات : حسنا لابأس...توالت بعد مؤتمر الصلح معاهدات عدة، أبرزها معاهدة سان جرمان سنة ١٩١٩م. التي تعلقت بالنمسا، إذ تم افصلها عن هنغاريا و الاقتطاع من أراضيها لصالح الدول المنتصرة. و معاهدة نويي التي حوت بعض من بنود الاقتطاع من هنغاريا، و أخيرا معاهدة سيڤر، التي أنهت تاريخ الإمبراطورية العثمانية الملحمي سنة ١٩٢٠م، إذ تم تفكيكها

و تقاسمها كالكعكة بين الدول المنتصرة، و إخضاع المشرق العربي للإنتداب الفرنسي و البريطاني.

معلمة الفزيـــاء : (*ساخرة*)هذا مخربط جدا، لم نعد نستوعب غرض قولك لكل هذه الأشياء...؟

الأستـــــاذ : كل ما تقوله بغرض إثبات أن ألمانيا مذنبة، التي إدعيت أنتي أنها بريئة معبرة عن رأيكي، وعليه توصلنا الأن إلى أن الحرب العالمية الأولى لما إنتهت كانت النتيجة إنتصار الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بريطانيا و إيطاليا على النمسا و ألمانيا و هنغاريا.

مما جعل الدول المنتصرة تملك التحكم بالقرار و المخرجات المتعلقة بالدول المنهزمة عبر عدة معاهدات هدفها تعويض الخسائر البشرية و الطبيعية و ضمان السلم العام.

معلم اللغة الإنجليزية : (*مفكرا*) لقد كان لتلك الحرب أثر عميق على القارة الأروبية...لقد ألحقت بها تحولات ترابية و إقتصادية شتى...

معلمـة الفزيـاء : (*متباهية*) هاه...أعلم ماهي تلك التحولات...إنها بذهية...الدول المنتصرة سلبت المنهزمة خيراتها و ثرواتها الطبيعية لتصبح أكثر قوة، فهذا مايحدث بعد نهاية الحرب...الطرف المنتصر ينتزع من الطرف المنهزم غنيمته.

الأستـــــاذ : لم يكن في الحرب أبدا يوما طرف فائز... كلا الطرفان خاسران...إذ يوجد دائما طرف ثالث يستفيد من حربهما، ويمكن إعتباره المنتصر الوحيد.

معلمة الإجتماعيات : حكمة في محلها يا أستاذ، أما التحولات التي طرءت على القارة العجوز بعد الحرب العالمية الأولى فهي تحولات جذرية و شاملة. وهي نوعان؛ ترابية تتجلى في تغير خريطة أروبا؛ حيث توسعت الدول المنتصرة على حساب الدول المنهزمة، و إختفاء عدد من الإمبراطوريات، كالإمبراطورية الألمانية و النمساوية و العثمانية و غيرها، لتظهر مكانها دول جديدة كبولونيا و تشيكوسلوفاكيا. و إقتصادية كتراجع مكانة أروبا في التجارة العالمية، و لجوء دولها للإقتراض لتغطية حاجياتهم الأساسية مما أذى إلى تراكم الديون عليهم، الشيئ الذي زاد الطين بلة، وفي المقابل نجد إنتعاش الاقتصاد الأمريكي و الياباني الذان إغتنما فرصة الإنحطاط الصعبة التي تعاني منها أروبا للإزدهار و تطوير إقتصاديهما.

الـــــــراوي : بعد ألفيتين ممتدتين إستطاع المدرسون وضع أرجلهم في العاصمة أخيرا، غادرو المحطة مرتبكين متوثرين، تولى الأستاذ القيادة، فإقترح عليهم أن يستريحوا أولا في مطعم قريب ويتناولوا شيء ما، رفضت الأغلبية و قرروا على الفور أخذ حافلة كي تقلهم إلى المكان المراد. بدى فيما بعد أنه الخيار الأنسب، كانت ذكرى عيد المدرس الوطنية، مما مهد لبهجة

لا يستهان بها أثناء اللحظات القليلة قبل الانضمام للمهرجان، علاوة على الطرب الغناء في الحافلة، الشيئ الذي زادهم سرورا على سرور، و روائح العطور، كلها كانت سببا في مغادرتهم لكياناتهم الواعية لبعض الوقت.

مرت ساعة على ركوبهم الحافلة وها قد توقفت الآن إثر الإزدحام الشديد الذي لم يُعرف سببه بعد، نزل الأساتذة مصممين على المتابعة سيرا، فلم تمضي بعض دقائق حتى لحظوا مشهدا غريبا صاخبا أمامهم على بعد أمتار فقط، كشيئ مُروع يحدث هناك، لم يتعين بعد أي من الأساتذة ماذا يجري.

ركضوا قليلا ليميزوا جموع كثيرة بل كما لو أنه ظهر أو مؤخرة جيش عظيم يشن هجوما دمويا، إنه لمنظر مرعب جدا و فائق الخطورة، لم يعد الأستاذ يفهم ما المغزى من كل هذه الفوضى و الهرج، ألم يتفق جميع معلمي و معلمات المؤسسات التعليمية على القيام بمهرجان سلمي يكرمون فيه الوزارة على سخائها و تقتها بهم عن طريق بعض الأناشد و النشاطات الجميلة و الحسنة التي قد تساعدهم هي الأخرى في الترويح عن السعادة الحادة التي إبتلتهم منذ بضعة أيام. لم تكن هناك حيلة للعبور و رؤية ماذا يحدث في الأمام، فالإكتضاد و الازدحام المفرطان يشلان أي محاولة تقدم، إذ يمتد جيش المعلمين الثائرين ذاك إلى مايقارب الثمانمئة متر وعرضه يعمر الطريق الوطني بالكامل و الرصيف كذلك، كان يتوجه ببطئ نحو مركز وزارة التعليم.

بدأ أساتذتنا يحملقون في ذهول و دهشة شديدن، فإغتنم الأستاذ لحظة الصمت تلك ليقترح أن يشربوا بعض من عصير البرتقال عند بائع متجول هناك، لم يرى أحد مانع مادام الإزدحام لا يزال قائما، فوافقوا و إتجهوا نحو بائع العصير. تناول كل واحد كأسه بيده، ماعدا أنهم إستمروا واقفين فالبائع ليس لديه كراسي للجلوس.

معلم اللغة الإنجليزية : هل تعلمون بماذا يذكرني هذا المشهد؟

معلمة الفزيـــاء : الحملات النظالية...؟

معلم اللغة الإنجليزية : لا!

الأستـــــاذ : الثورة الفرنسية ؟

معلم اللغة الإنجليزية : إقتربت ...

أستاذ اللغة العربية : (*يحتسى جرعة عصير*)أظن...الثورة الروسية ؟

معلم اللغة الإنجليزية : تماما ! إنه كالثورة الروسية عام ١٩١٧م.

معلمة الفزيـــاء : بالمناسبة، ماذا كان سبب تلك الثورة ؟

معلمة الإجتماعيات: كان لها عدة أسباب...أسباب سياسية كإستبداد القيصر نيكولا٢، الذي كان حاكما مستبدا قاسيا ظالما لشعبه، إذ جمع كل السلطات، مما ولد في النهاية معارضة سياسة له.

معلم التربية الدينية : هذا ما قلته سابقا، فالحاكم إذا كان ظالما لشعبه إعترضوه و أكنوا له الضغينة.

معلمة الإجتماعيات : أجل...و كانت لها أسباب إقتصادية و إجتماعية أيضا. تجلت في إرتفاع الأسعار، قلة المواد الاستهلاكية و إنخفاض الأجور، مما أذى للبطالة و الإضرابات.

معلمة الفزيـــاء : لكن ما الذي جعل الأوضاع تحول إلى تلك الحال؟

معلم اللغة الفرنسية : *(بوجه إسمنتي)* تسلط الحاكم الفاسد و الطبقة المهيمنة.

،معلمة الإجتماعيات :كما أن هناك أسباب عسكرية أذت هي الأخرى إلى إندلاع تلك الثورة كمشاركة روسيا في الحرب العالمية الأولى دون أدنى إستعداد عسكريا لها، مما حملها خسائر بشرية و مادية هائلة .

معلم الرياضيات :*(متساءلا)* وكيف قامت تلك الثورة...؟ أقصد كيف حدثت في ظل هذه الأسباب و من الذي مهد لها؟

معلمة الإجتماعيات : لقد مرت الثورة الروسية بمرحلتين. الأولى كانت في فبراير ١٩١٧م، إذ قامت على مظاهرات نسائية و عمالية، ثم حدث و لحقتها إنتفاضة الجنود فيما بعد، فصار لها طابع سياسي، إستطاعوا الإطاحة بالقيصر و تأسيس حكومة بورجوازية مؤقتة.

معلمة الفزيـــاء : *(مندهشة)* ماذا! لكن كيف؟... كيف إستطاعوا ذلك؟

معلم اللغة الفرنسية :*(ممتعضا)* ياله من سؤال...ألم تقرأي أو تسمعي بقصة "في الإتحاد قوة"

معلمة الفزيـــاء : لا!

معلمة الإجتماعيات : إذن عليكي أن تقرأيها...أما المرحلة الثانية فكانت في أكتوبر ١٩١٧م حيث وقعت الثورة البلشفية و قد لقبت بهذا الإسم لقيام البلاشفة بها. تمكنت من الإطاحة بالحكومة .البورجوازية، التي لم تكن عند حسن الظن و تم تأسيس حكومة إشتراكية تزعمها لينين ...

معلمة الفزيـــاء : *(مستشكلة)* لكن من هم البلاشفة ؟ ومن يكون هذا المدعو لينين؟

الأستـــــاذ : البلاشفة هم أعضاء الحزب البلشفي، أحد أحزاب روسيا، وقد كانوا لايؤمنون إلا بالثورة، كوسيلة لبناء نظامهم الإشتراكي. أما لينين فهو زعيمهم الذي قادهم إلى تأسيس الحزب العمالي الإشتراكي الديمقراطي الروسي.

معلمة الإجتماعيات: وقد إعتمد لينين سياسة شيوعية الحرب، المتجلية في مصادرة فائض إنتاج الفلاحين الفقراء لتدعيم الأجهزة العسكرية، لكن سياسته هذه أخفقت إقتصاديا بسبب إرتفاع الأسعار و قلة المواد الغذائية، فقرَّرَ إعتماد سياسة جديدة، جمع فيها بين النظام الإشتراكي و الرأسمالي .حيث توقف عن مصادرة فائض إنتاج الفلاحين، و إكتفى بفرض ضرائب مالية عليهم فقط.

معلمة الفزيـــاء : وهل إستطاع بعد ذلك أن يحسن الظروف الإقتصادية في روسيا أم لا ... ؟

معلمة الإجتماعيات : *(مبتسمة)* بالتأكيد نجح في ذلك! لكن الحظ لم يقف إلى جانبه طويلا، فقد وفق في إتخاذ الإجراءات الازمة و القرارات الصائبة، لكن المنية وافته بعد ثلاث سنوات فعوضه بذلك ستالين الذي إستمر في السير على نهجه، نهج السياسية الإقتصادية الجديدة، لكنه تركه في سنة ١٩٢٨ ليعتمد سياسة أخرى لقبت بالمخططات الخماسية.

معلمة الفزيـــاء :*(متساءلة)* ماذا ! و ماهي هذه السياسة؟

الـــــــراوي : في تلك اللحظة إنتبه الأساتذة إلى فجوة أحدثت في جيش المعلمين الرهيب... لقد أحدثها بائع مثلجات بعربته، كان يتقدم وسط الحشود بصفارته فيفسحوا له الطريق، إغتنم أساتذتنا تلك الفرصة فركضوا ورائه ليبلغوا المقدمة و يتبينوا ماذا يجري هناك. رويدا رويدا حتى بدأو يسمعون أصوات عالية، مرتبة، إنها للمؤثرين و المنسقين. و ما إن إقترب الأساتذة من الوصول لرأس الجيش حتى لحظوا تواجد حاجز من الجنود المقنعين يحملون درعا من الكرتون و مكنسة يهشون بها على الجموع لكي الثائرة تتراجع.

لكن حدث أن أمرا أخر جعل أساتذتنا يصابون بصدمة قوية ...

صدمة من العيار الثقيل، لدرجة أن أحدهم قد شُلّت رجليه، فسقط أرضاً مرتعذا من شدة الفزع...

لقد شاهدوا أستاذ التربية البدنية يحمل بيده بوقا ضخما يهلل فيه بأقصى ما تستطيع حباله الصوتية و قواه الحنجرية، مستثيرا و مستهدفا بذلك غضب الحشود و حقدها على وزارة التربية.... لم يصدقوا أبدا أعينهم، أهذا نفس الشخص الذي رأيناه يلقى حتفه أمام ناظرينا... لقد ظلوا جامدين في أماكنهم يحملقون فيه لبرهة، ثم لمحهم، فهم يتقدم بإتجاههم مستعجلا مهرولا و قد تسارعت دقات قلوبهم...

معلمة الفزيـــاء : (*خائفة و مختبئة وراء أحدهم*) بسم الله الرحمان الرحيم!

بسم الله الرحمان الرحيم!

معلم التربية البدنية : (*وصل و هو يبتسم بأسنانه*) زملائي المدرسين! كيف وعيكم؟

هل ستشاركون في الحملة النضالية؟

معلم الرياضيـات : لكن كيف؟ ... ألم تمت! ألم تفارق الحياة؟

معلم التربية البدنية :*(يستطرد عابسا)* لا! المجانين لقد قاموا بدفني حيا أرزق، لقد كنت فاقدا للوعي فقط و الأطباء المغفلين شخصوا لي سكتة دماغية لعدم توفر أي جهاز لقياس دقات القلب بالمستشفى المغربي، فحين إستعدت وعيي كنت في قبري شعرت بثقل التراب و بأني مكبل، فبدأت أحاول التحرر من الكفن، نجحت في ذلك بفضل جسدي القوي ثم بدأت أقتحم و أسبح للأعلى داخل أطنان من التربة الهشة إلى أن خرجت، لكن الكارثة أني كنت عاريا تماما. فإستغرق الأمر مني بعض الوقت لتدبير شيئ ألبسه و أكله. ثم سمعت بما حل بمعلمي المملكة من نوبات سعادة و فرح شديدين و أنهم قرروا الخروج اليوم للتعبير عنها وهكذا...الفجر وجدني أتبول على شجرة الزنباع تلك التي هناك... منتظرا قدومهم لأجعل منهم جيشا صلبا عابرا للأسوار...

معلمة الفزيـــاء :*(تضحك بهستيرية)* هل تظننا في الثورة الروسية...(لازالت تضحك) هل تعتقد نفسك لينين...؟

معلم التربية البدنية : لينين! هاه... بل أنا هتلر! و سأوجه هذا الحشد الغفير من المدرسين لإسقاط مركز الوزارة النكراء ذاك ، فقط دقائق و سندوس على أوجه هذه الجنود المقنعة الساذجة...

معلم اللغة العربية : لكن لما؟ ألا تعلم أن الوزارة كرمتنا بشكل لا يصدق في النظام الجديد الذي أصدرته؟

معلم الرياضيـات : أجل! لقد منحتنا تعويضات خيالية و تسهيلات كبيرة في الترقية و العديد من النعم التي لا تعد و لا تحصى.

معلم التربية البدنية :(*ممتعضا*) مغفلون! ألم تدركوا بعد نوايها الشريرة تلك؟ لقد جعلت لكم جميع تلك المكتسبات لتفسد مساركم المهني!

أستاذة المعلوميات :(*مندهشة*) لتفسد مسارنا المهني؟ كيف ذلك؟

معلم التربية البدنيـة : ألم تلاحظوا أنكم بدأتم تتهاونون و تتقاعسون، و تضيعون الكثير من الوقت في اللهو ؟

الأستـــاذ : أتفق معك! أول مرة تقول شيئ صائبا. فأنا نفسي لم أعد أبالي بتدريس طلابي، لقد صرت أنضم كل مرة لقاعة الأساتذة أحتسي الشاي و أتناول الحلويات اللذيذة.

معلم التربية الدينية : معك حق، قال تعالى إنما أموالكم و أولادكم فتنة! وقد فتنتنا تلك المداخيل الجمى فعلا عن أداء الواجب.

معلمة الإجتماعيات: (*متوثرة*)لكن ماهو الحل ؟

معلم التربية البدنيـة : الحل هو أن يسحب ذلك النظام الجديد و تتم إزالته، ولكي تحقق هذه الغاية ما عليكم سوى أن تتبعوني.

معلمة الفزيـــاء : أي تعليمات و نحن و سط هذا الكم الهائل من المدرسين الثائرين، كيف عسانا نقوم بأي شيئ ؟

معلم التربية البدنية : أنظري! أنا لدي هذا البوق الضخم، سيكون مفيدا جدا لنا إذا علمنا كيهف نستخدم.

معلمة الفزياء : (*تضحك ساخرة*) ماذا هل ستبدأ الصياح مرة أخرى كالمجنون...أنا لست متفرغة لهذه المهزلة...سأذهب لإستنشاق بعض الهواء النقي...
و تناول شيء ما، أنت شخص حالم و جاهل بشكل لا يطاق...

الـــــراوي : حدق أستاذ التربية البدنية فيها للحظة، ثم سحب شيئ من تحت بنطلونه، شيئ يشبه السكين، ثم إنقض عليها كاليث المسعور، أمسكها من الخلف و رفع رأسها بقوة إلى الأعلى بيده اليسرى ثم ذبحها ضاغطا السكين الحادة على عنقها من الوريد إلى الوريد بيده اليمنى. بعد ذلك ألقاها أرضا رجلاها تترنحان، جسدها يرتعذ، و دمائها تسيل بغزارة من الفتحة التي أحدثها السكين.

كان كل ذلك قد حدث في رمشة عين، فصرخت معلمة الإجتماعيات صرخة مدوية ذابت وسط ضجة الحشود، فحل على أساتذتنا الفزع الأعظم لم يفهموا ماذا بهم و ماذا عليهم، فبدأو يعيدون برمجة ما حدث و محاولة إدراكه، لكن الأمر إحتاج أكثر من خمس ثوان لتجاوز تلك الصدمة، فإرتمى أستاذ اللغة الفرنسية و اللغة العربية على المجرم ليبدأ في مقاومتهما بشراسة...

الأستـــاذ : *(يستثير غضبا)* أيهـــا الوغـد! ماذا فعلت ؟...لقد سلبت إنسانا حقه في الحياة!

معلم التربية البدنية :(*يضحك*) هـــا ! هـــا ! هذه الحشرة ؟ هل ترى هذه الحشرة إنسانا...؟

إنكم لجميعا مجانين، هذه لم تعد إنسانا منذ زمن، فليس لها وعي بذاتها إطلاقا، ليس لها مبادئ أو قيم، ليس لها عفة أو كرامة، إنها نوعة كالشيئ، بل في مرتبة أدنئ من الشيئ، إذ هناك أشياء مفيدة على الأقل أما هذه فمجرد جرثومة ترسبت من تجارب العلوم، لسنا في حاجية لها.

معلمة الإجتماعيات :(*تبكي في حرقة*) لقد كانت معي على إنفراد ذات مرة، فأخبرتني أنها لم ترغب قط في شعبة العلوم حين كانت تلميذة، لكن أمها أرغمتها على ذلك و أجبرتها... ربما ذاك هوسبب فقدانها الوعي بذاتها و تحولها إلى ماكينة.

معلم اللغة الإنجليزية : لقد إقترفت أبشع جرم يا حثالة المجتمع...لقد أزهقت روحا !

معلم التربية البدنية : *(يزمجر في إحتقان)* أنا حثالة ! هاه بل أمثالك و من لهم نفس رأسك هم الحثالة...إن الموت لمصير البرازات من قبيلها، إنها لكما قالت معلمة الإجتماعيات كالماكينة.

معلمة الإجتماعيات : *(لا زالت تبكي)* كلا! لم أقصد ذلك...إنها صديقتي...

معلم التربية البدنية : بل قصدتي! أنا أتفق معك، إنها وسخة ليس لها دماغ أبدا...هل تعلمون ؟ كنت دائما ألاحظ أستاذة العلوم يفتقرون إلى الرجاحة، عكس أستاذة الأدب الذين يفيضون بها. ولا أعرف السبب، لكن الأن توضح لي جيدا...

أستاذ اللغة العربية :*(يضغط عليه ممسكا إياه بقوة)*أي دناءة تتحدث بها ! بعد أن أرسلتها لحتفها بيديك الحقيرتين، تتجرء و تبرر فعلتك بكل وقاحة...

معلمة الإجتماعيات:(تكفكف دموعها) أنا دائما أحاول شرح الأمور لها و تفهيمها بعض الأشياء، لكن ... إنها ليست طبيعية...إنها لا تجيد سوى الثرثرة في أمور عامية غير مهمة و غير ذي فائدة...أحيانا أعتقد حقا أنها لم تعد ذاتا واعية، بل وعاء لمعارف محدودة محفوظة في بطاقة ذاكرتها.

معلم الرياضيات : *(متعجبا)* لكن هذا أمر عادي ! فهي أستاذة لمادة الفيزياء، و كل ما تحتاج معرفته هو مايتعلق بمادتها ...مثلي أنا! فأنا معلم رياضيات، و كل ما أعرفه و ما يجب علي أن أعرفه يتعلق بمادتي. أليس هذا منطقيا؟

أستاذ التربية البدنية : *(يقهقه بصخب)* يالك من خردة ! كنت متأكدا ! شعبة العلوم لن تنتج سوى أشباه الذوات الواعية، أشباه الرجال، أشباه النساء و أشباه البشر عامة. أليس من الحمق و النتانة إعتماد علم أو معرفة معينة بشكل أقصى، و لاسيما لو كانت ساذجة سطحية تتعلق بالحجارة و السوائل، بالأرقام و الرموز، ببراز الكائنات و أوراق الأشجار. وبعدها إغلاق أي باب من أبواب المعرفة النافعة التي من شأنها أن تبعث نور العقل وتعيد وعي الذات بالذاتها.

معلم التربية الدينية : *(ربع يديه عابسا)* لازلت تتمادى في تعليل جرمك يا عدو الله...هو الذي سيحاسبك على ذنبك العظيم ...و هو وحده يعلم خاتمتك.

الأستـــــاذ :*(يخاطب المجرم)* أفهم وجهة نظرك ! لكن هذا لن يعفيك من الوقوف في محكمة العدالة والخضوع أمام القانون.

المـــــجرم : *(يبتسم)* بلى ! هذا ما لا مفر منه، لكن دعونا أولا نكمل ما بدأناه من ملحمة نضالية...

معلم اللغة العربية : *(منفعلا)* ماذا ؟ أتصغون إلى هذا المختل عقليا ! فلتذهب للجحيم، لن أتركك إلا في قعر أسوء زنزانة على عمق الأرض، تلك التي تملئها الجردان و الذباب،و تعلوها شباك العناكب الضحلة، وتفوح منها رائحة الجيفة، لتقضي أنذل سنوات عمرك و أحقرها تتعفن خلف قضبان السجن القذرة.

معلم اللغة الفرنسية:*(عابسا)* معك حق، إنه لمجرم سفاح قاتل الأرواح، يظن نفسه داهية بمراوغاته هذه...نحن نعلم أن همك فقط الحصول على فرصة للفرار من العقاب...و تتحدث عن النضال أمامناكما لو أننا لانزال نقضم أضافرنا...

الأستـــــاذ : *(يحدق بالمجرم)* مجرم مثلك لا يليق سوى إعدامه بطريقة قطع الرقبة...إذ ما إقترفته يعد تجاوزا و تمردا على الأخلاق، بل لَمِن أفضع و أبشع الخطايا التي يرفضها المجتمع و القانون و الدولةو يعاقبون عليها أشد العقوبات وأقصاها.

(المجرم يرسم إبتسامة باهتة إشارة لعدم مبالاته بأقوالهم)

معلم الرياضيات : *(حائرا)* إنه يتفوه بالحماقات...لكن هل هو حقا من إستثار غضب كل هذا الوفد من الأساتذة...إنه لشيئ يصعب تصديقه.

المـــجرم :*(يضحك في سخرية)* بلى أنا ! أنا !....فل يتركني هذان النتنان و سأوجه أعظم توجيه هذه الجموع لتسقط راية الوزارة اللعينة تلك...راية الشر و المكر، راية الطمع و البخل، راية الدنائة و الذل. إنها المجرمة الحقيقية لست أنا...

أنا حليفكم، إسمعوني يا مجانين! إنها تحاول إستعبادنا!ونحن لسنا عبيدا، يجب أن نبرهن لها ذلك، يجب أن نجعلها تعيش الرعب الحقيقي...و هذا فقط بيدي! ...أجل! بيدي أنا ...فأنا وحدي من يستطيع قيادة جيش الكرامة هذا، إنني الصواب عينه، إنني الأمثل *(يصيح في إنفعال)*

فلتتركـــاني يا وغـــدان! إذا لم تفعلا ذلك الأن، سوف ينتهي كل شيئ ... كل شيئ! ...سيتراجع الوفد إثر ترهيب الجنود الملاعين و ستعودون أدراجكم هزيلي الثقة بالنفس، هزيلي الروح، هزيلي العرض، هزيلي الحلم، هزيلي الكرامة و الشرف...ستخسرون! ستخسرون بلا ريب إن لم تطلقوا صراحي الأن، فأنا الوحيد القادر على تغيير تلك النتيجة المحتومة.

معلمة الإجتماعيات: *(دامعة و مثيرة للشفقة)* أنت ترى نفسك هتلر! وأنك تخوض حربا عالمية ثانية! وأننا جيشك الوديع، الذي سينفذ أوامرك و يطيعك في سبيل إرضاء جنونك و هوسك بسفك الدماء و القتل، لكن كن على يقين أن هذا لن يحصل أبدا !

المـــــجرم :*(مشمئزا)* ساذجة مثلك ماذا عساها تفهم في القيم الأخلاقية و الحفاظ عليها...أسفاه!... لا أدري لما أنا هنا ضمن مجموعة من كبار المغفلين ؟

معلم الرياضيات : *(مستفسراً معلمة الإجتماعيات)* عادةً ما كنت أسمع عن الحرب العالمية الثانية و المدعو هتلر، لكنني أجهل تماما أسباب تلك الحرب و كيف نشبت، أردت لو كان بوسعكي أنتخبريني بالقليل عنها من فضلك.

معلمة الإجتماعيات: إنها حرب كونية وقعت في الفترة الممتدة بين سنة ١٩٣٩م و ١٩٤٥م، بين دول الحلفاء و دول المحور. وكان من أبرز الأسباب المسؤولة عن إندلاعها ؛ بنود معاهدة ڤرساي القاسية و المجحفة لألمانيا، و التي وضع هتلر نصب عينيه حينها هدف التخلص منها جميعها بعد وصوله للسلطة، فقد أعطى وعدا للشعب الألماني بإعادة الإعتبار لوطنه. أما السبب الأخر و المساهم في نشوبها، فهو أزمة ١٩٢٩ الإقتصادية العالمية، و التي رافق ظهورها الأنظمة الديكتاتورية بأروبا، مما أضعف الأنظمة الديمقراطية بشكل كبير.

أستاذ الرياضيات : *(متعجبا)* لحظة! ماهي أزمة ١٩٢٩؟ وهل عاشها المغرب أيضا؟

الأستـــــاذ : *(يهدء أعصابه)* إنها أزمة إقتصادية، كانت قد بزغت لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية، و إمتدت بعد ذلك إلى باقي بلدان العالم الرأسمالي و المستعمرات.

أستاذ الرياضيات :*(مندهش بشدة)* لكن...لكن كيف ! الولايات المتحدة كانت قوة إقتصادية عظمى وقتها...ولاسيما أن تلك الفترة عرف الإقتصاد الأروبي تراجعا هائلا إثر مخلفات الحرب العالمية الأولى، فإغتنمت الولايات الفرصة المتحدة لتتحكم في السوق العالمي، أليس كذلك؟

معلمة الإجتماعيات :*(ممتعضة قليلا)* حسنا...إسمع! بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وخسارة أطرافها جميعا رغم فوز أحدهم رمزيا، كان إقتصادهم قد إنهار تماما... الاقتصاد الأروبي، بعدها كما قلنا سابقا حصل و أن إستفاد الطرف الثالث فقط. مما دعى هذا الطرف إلى التفاؤل و توقع الأفضل بشكل مبالغ فيه، حيث هرولت الولايات المتحدة الأمريكية لتنتج أطنانا و أطنانا من المواد الإستهلاكية و المنتوجات الغذائية بغية جني ثروة طائلة و إفعام إقتصادها أكثر و أكثر و إنعاشه إلى أقصى درجة، لكن ماحدث هو حجة على صحة مقولة ؛ إذا زاد الشيئ عن حده، إنقلب إلى ضده. فقد إرتفعت المضاربة بالأسهم في البورصة و أصيب المستثمرون الأمريكيون بالجنون، حيث صاروا يبيعون .و يشترون في الأسهم بشراهة و قلة تفكير، ويقترضون من الأبناك بغية ذلك أيضا...

مما أذى لإنهيار قيمة الأسهم و إفلاس الأبناك بسبب عدم إسترجاعها قروضها، و إرتفاع العرض و تراجع الطلب، إذ تراجعت القدرة الشرائية للمواطنين عامة، الشيئ الذي خلق في نهاية المطاف أزمة إقتصادية ضخمة، أما حول إنتقالها للمغرب فهاذا أمر من سابع المستحيلات، فالمغرب من الدول النادرة الغير قابلة للأزمات.

أستاذ الطبيعيات :*(مقتضب الوجه)* مهلا، أذكر أنه كانت هناك ظواهر طبيعية أثرت هي الأخرى في إنبثاق هذه الأزمة... أو كانت نتيجة لها على ما أعتقد !

معلمة الإجتماعيات: عن أي ظواهر طبيعية تهذي ؟ لم تكن للأزمة سوى نتائج مالية كإفلاس البنوك جراء قروضها الغير مسترجعة، و نتائج صناعية، تجلت في إفلاس مجموعة من المؤسسات الصناعية، بسبب الطلب الداخلي و الخارجي المرتفعين عليها. ثم نتائج فلاحية و تجارية.

(هنا قاطع أستاذ الطبيعيات كلمة المعلمة)

أستاذ الطبيعيات : هذه هي ! النتائج الفلاحية للأزمة...هي نفسها المظاهر الطبيعية التي ذكرت لما تعقيدين الأمور؟

معلمة الإجتماعيات :(*تمسك رأسها إستنفاراً*) إنهما ليستا متشابهتين ! فالنتائج الفلاحية شيئ و الطبيعية شيئ أخر، أصلا أنا ذكرت النتائج الفلاحية و التجارية، و اللتان تمثلتا في إنهيار و تراجع الأسعار و المنتجات الفلاحية بسبب إرتفاع حجم الإنتاج، الشيئ الذي مهد لسقوط الإقتصاد الأمريكي في بئر التأزم العميق.

معلم الرياضيات : لحظة! لحظة! هل تقولين أن إرتفاع الأسعار جاء بسبب إرتفاع الإنتاج...؟ أوليس إرتفاع العرض يعود على الأسعار بالإنخفاض و ليس الإرتفاع.

معلمة الإجتماعيات : (*تنظر إليه بإستخفاف*) بل إرتفعت الأسعار و ما إنخفض هو القدرة الشرائية للمواطنين...إسمع...مثلا هناك قرية صغيرة، في هذه القرية يوجد خمس عائلات في كل عائلة رب بيت فلاح، ماحدث أن جميع هؤلاء الفلاحين قاموا بإنتاج نفس المنتوج بقدر كبير، وحين أرادو بيعه لم يكن في وسعهم الربح قطعا منه، كيفما كان ذلك الخيار الذي سيتبعونه في بيعه، وفي الأخير قررو رميه و إتلافه كخيار سيان يدخل ضمن خيارات الخسارة المرجحة الأخرى.

لكن، الفرق في هذا الخيار أن لا أحد سيستطيع الربح من وراء جهودهم بإعادة بيع منتوجاتهم أو حتى إستهلاكها بعد شرائها بالثمن الذي أراده، وبذلك سيكون بوسع هؤلاء الفلاحين الإنتاج...لكن بعد فترة ما، أي بعد إنقضاء الأزمة التي كان لهم يد فيها، و سينتجون بعدها بنسب معقولة تمكنهم من الربح.

معلم الرياضيات : كيف ؟ لقد قلتي أزمة إقتصادية عالمية، هل صارت يا ثرى تتعلق الأن بالولايات المتحدة فقط أم ماذا...؟

معلمة الإجتماعيات: كلا! بل إنتقلت منها إلى دول العالم. لقد حدث ذلك بفعل الإرتباط المالي و التجاري الذي كان بين الولايات المتحدة و الدول الأخرى، مما دفعها أيضا لسحب رساميلها منهم و إسترجاع قروضها، خصوص من أروبا. إذ نهجت هي و باقي الدول سياسة الحمائية، المتجلية في رفع الضرائب الجمركية على الواردات و الصادرات، وذلك كله بدأ منذ سقوط البورصة الأمريكية لوول ستريت يوم الخميس، مما دق ناقوس الأزمة الغير مسبوقة في تاريخ العالم أجمع.

أستاذ الرياضيات : *(متعطش للمعرفة)*أخبريني! أخبريني عن أسباب أخرى غير الأزمة الإقتصادية لسنة ١٩٢٩م أذت لإندلاع الحرب العالمية الثانية.

معلمة الإجتماعيات :*(يدهشها جهله)* أجل! وهناك أسباب أخرى! كسقوط عصبة الأمم، التي لم تعد تقوى على حل أي نزاع بين الدول، إثر تفاقم الأنظمة الديكتاتورية التي تنهج السياسة التوسعية، وهي سياسة كان قد نهجها هتلر في ثلاثينيات القرن العشرين. مما أعجز العصبة و أذى لإنسحابها لتبدأ دول المحور ؛ ألمانيا، اليابان و إيطاليا بالتقارب ...

معلم الرياضيات : *(يحك رأسه حائرا)* أنا أصلا أجهل ما عصبة الأمم هذه، هل هي دولة أم مجموعة من الدول ؟

معلمة الإجتماعيات : إنها منظمة دولية تقع في سويسرا، أسست عام١٩١٩م، كانت تسعى لحفظ حقوق الإنسان و نشر السلم بين البلدان، لكنها إنهارت جراء إحتدام النزاعات التوسعية كما قلت ... ومع ذلك فيبقى شيء مهم عليك أن تعرفه ...

معلم الرياضيات :*(متحمسا)* ماهو ؟ ماهو هذا الشيئ ؟

معلمة الإجتماعيات : في الواقع، هذه الأسباب لا تعد الرئيسية في في نشوب الحرب العالمية الثانية؛ فالسبب المباشر وراء إندلاعها هو غزو ألمانيا لليونان في سنة ١٩٣٩م، في سياق سياستها التوسعية التي كان ينهجها هتلر على حساب البلدان الأخرى، مما جعل فرنسا و بريطانيا تستيقظتان؛ منتبهتان لخطر إقتراب سفينة العدو نحوهما، فأعلنتا الحرب على ألمانيا و شركائها، وبذلك تكون نار الحرب قد إشتعلت، و رياح العاصفة قد هبت و لم يبقى سوى نثر ذلك اللون القرميزي في كل بقاع الأرض لينعكس على لوحة السماء الصافية.

معلم الطبيعيات :*(يعبث بأنفه)* يبدوا لي أن الأحداث صارت مشوقة ها هنا...

معلم الرياضيات :*(قافزا من مكانه)* وبعد ! وبعد ! لمن كانت الغلبة؟ هيـــا! أكملي!

معلمة الإجتماعيات: بكل سرور! أولا، بعد إعلان الحرب رسميا، ما حدث أن ألمانيا طارت فرحا كما لو دعيت لحفل زفاف، فبتدأت حينها أول مرحلة من الحرب العالمية الثانية، و التي إمتدت من عام ١٩٣٩إلى١٩٤٢م، وفي هذه المرحلة تمكنت ألمانيا و حليفتاها إيطاليا و اليابان من تحقيق عدة إنجازات.

إذ توسعت في فرنسا و بريطانيا محتلة ثلث مساحة فرنسا، و توغلت شرقا في الإتحاد السوفياتي و ظلت تنبش في الجوار دون توقف، أما إيطاليا فإقتحمت حرمة اليونان و جنوب فرنسا بعد هزيمتهما شر هزيمة، كما إشتبكت مع إنجلترا أيضا. أما اليابان فتحمست كثيرا بفعل العروض الباهرة، فلم تقاوم هي الأخرى و نهضت تقصف قاعدة عسكرية أمريكية كانت في المحيط الهادي، مما جلب الويل عليها و على شريكتيها فيما بعد *(قاطعتها أستاذة المعلوميات)*

أستاذة المعلوميات: عذرا! لكن أنت تقولين أن ألمانيا جاءت وشرعت تحتل فرنسا و بريطانيا كالزبدة و العسل... كيف ذلك؟...إنه لأمرٌ غير منطقي.

معلمة الإجتماعيات: ما الذي ليس منطقي؟...ربما تجهلين القوة العسكرية التي إستحوذت عليها ألمانيا في ذلك الوقت، إن هتلر لم يكن يعر إهتماما حينها لأي قطاع أو مجال باستثناء العسكري منها، صناعة الأسلحة و تجهيز الجنود، لقد كان لا يبصر سوى ما هو حربي...فعند إعلان الحرب، إنشرح صدره فرحا.

أستاذ الرياضيات : *(متسرعا)* أجل! أجل! أكملي ؟

معلمة الإجتماعيات :*(متريثة)* حسنا! قلت أن اليابان قامت بقصف القاعد الأمريكية...وهي لا تعلم أن ما فعلته هو إيقاظ الذب الكبير من جحره، فقد إنضمت إثر ذلك الولايات المتحدة للحرب في صف دول الحلفاء؛ أي فرنسا و الباقون.

فبدأت حينها المرحلة الثانية من الحرب، و الممتدة من سنة ١٩٤٢ إلى ١٩٤٥، والتي تغيرت فيها الموازين بشكل مفاجئ...إذ إنهزمت ألمانيا شرقا من طرف الاتحاد السوفياتي، و غربا من طرف فرنسا و بريطانيا، الشيئ الذي أكرهها على الاستسلام١٩٤٥م سنة.

معلم الطبيعيات : *(مستغربا)* الاتحاد السوفياتي! لكن مادخله في الحرب ؟ أليست الولايات المتحدة الأمريكية هي من إنضمت؟

معلمة الإجتماعيات : بلى! لكنها دخلت لتصفية حسابها مع اليابان التي عنتها بالهجوم، أما الإتحاد السوفياتي ففي المرحلة الأولى من الحرب ذكرتُ أن ألمانيا إحتلت شرقه و إستمرت تتوغل فيه لأزيد من سنتين، حتى المرحلة الثانية، والتي كان فيها الجيش الألماني قد إحتدمت بينه و بين الجيش الروسي معارك، و روسيا هذه ذات جو بارد و قارص، لم يستطع الجنود الألمان تحمله، عكس جنود الروس، الذين يعرفون كيف يحاربون داخل ظروف مناخهم القاسية تلك، الشيئ الذي قلب الكفة لصالح الإتحاد السوفياتي.

أستاذ الرياضيات : و الدول المحاربة إلى جانب ألمانيا ماذا حدث لها؟

معلمة الإجتماعيات : خسرت هي الأخرى، فقد لاقت إيطاليا هزيمة نكراء من قبل جيوش الإنجليز في شمال أفريقيا. أما اليابان تعيسة الحظ، فألقت عليها الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتين نوويتين، إستقرتا في أحضان مدينتاها نكزاكي و هيروشيما سنة ١٩٤٥م. أودتا بحياة عدد كبير من شعبها.

معلم الرياضيات :*(قلقا)* هل كان هناك ضحايا؟

معلمة الإجتماعيات: *(مندهشة من سذاجته)* بالطبع كان هناك ضحايا، لقد بلغ مجموعها الخمسون مليون نسمة، إضافة إلى عشرات ملايين الجرحى، المعطوبين، المبثورين و اليتامى. الشيئ الذي خفض نسبة النمو الديموغرافي في العالم و رفع بشكل مضاعف نسب التشرد و الفقر...

أستاذة المعلوميات : والإقتصاد! كيف بات الإقتصاد في ظل تلك الخسائر؟

معلمة الإجتماعيات: تلك الحرب العنيفة...لقد سببت دمارا عضيما للمباني، المصانع و البنايات، إذ إنهار الإقتصاد الأمريكي بشدة لتوزع بقاع الحرب داخله، أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنتعش إقتصادها كما في المرة السابقة، إذ تركت باحتها طاهرةً من الأضرار، و سافرت لباحة الجار تراكم فيها الأحجار.

معلم الرياضيات : *(متلهفا)* و المغرب ؟ و المغرب كيف كانت حاله جراء الحرب...؟

المجـــــــرم :*(ينفجر صارخا)* يا مجانين ! كفى حماقة و ثرثرة حول الهراء اللعين ! الجيش بدأ ينسحب والمعركة لن تكون لصالحنا هكذا...ستندمون شر ندم بعد ذلك يا مغفلين .

معلم اللغة الفرنسية :*(يخاطب أستاذ اللغة العربية)* هل نأخذه لمقر الشرطة ؟ أظنه قريب من هنا...

معلم اللغة العربية : المشكلة هي كيف سنعبر وسط هذا الوفد الغفير...يبدو مستحيلا حتى أن تخطوا خطوة، فكيف عساك تخطوها و أنت تمسك بمجرم عملاق كهذا النذل.

المجـــــــرم : إني بريئ من أي جرم، أما أنتم فمذنبون، و ذنبكم هو الأعظم، فقد وقع على عرضكم وكرامتكم، وإن لم تتحركوا قبل فوات الأوان فلن تتمكنوا من إستراجعهما أبدا، وإلى الأبد ...

الأستـــــاذ : *(يمسك رأس المجرم بين يديه بقوة)* أنظر إلي !... تراني صحيح، كرامتنا محفوظة في برِّ الروح الأخلاقي، الروح التي هجرت كيانك النجس، كيانك الدنس، هل تدري أن مروءتك بالكامل قد سكبت على عرض الأرض حين سفكت أول قطرات من دم ذات فاقدة للوعي بذاتها. لقد أخصيت روحك بيديك وأسفاه...

(هنا بدأ المجرم يذرف الدموع و يصرخ بغصة فتركه الأستاذان مذهولان من ردة فعله)

معلم الرياضيات:(*يضحك في صخب*) هـــا!هـــا!هـــا!... يا الله على هذا المشهد...هـــا!هـــا!...

هل مات جدك...هـــاهـــاهـــاهـــا...هل تريد منذيلي...؟

الـــــــراوي : و المجرم في خضم محنته العاطفية و دموعه البادية فقعت قهقهات أستاذ الرياضيات فقاعته الهائمة تلك، فإستطرد حاله باحثا عن مصدر الصوت بعينيه الدامعتين، ليتبينه، فإندفع بسكينه الحادة كالبرق ليشق صدر المسكين قاطعا ضحكه، طاعنا مخترقا قفصه الصدري، فما إن توقفا جامدين مكنيهما صرخت الضحية صرخة ألم مدوية ثم شهقت شهقتها المتقطعة الوفاتية، فهوت على السماء محلقة مع كم كبير من الجدور و الكسور التي بالتأكيد ستكون ذات فائدة لها فيما بعد. لكن أستاذنا فاض كأسه حينها، إذ إنقض على المجرم ممسكا إياه من تياب عنقه راكلا إياه بقوة فأسقطه أرضا و هم في لكمه بكل ما أوتي من وحشية، حاول الأساتذ ة فراقهم، فكان الأمر عسيرا أقرب للمستحيل، إلا بعد تشنجات و تشابكات عنيفة، فحين أبعدوا الأستاذ عنه أخيرا، كان ملقا في الأرض على بطنه كالثعبان السام مضغوط على يديه الدمويتين من قبل أستاذ اللغة الإنجليزية و أستاذ اللغة العربية.

كان يزمجر في داخله .كحيوان شرس متهجم جائع

يريد الفرار.

معلم اللغة العربية : *(لأستاذ اللغة الفرنسية وعيناه على وشك مغادرة وجهه)* لما تركته يا مجنون...؟ لما قمت بتركه! أنظر ماذا فعل! يا للكارثة! لقد أزهق روحاً أخرى...

معلم اللغة الفرنسية : *(ثائرا هو الأخر)*أنا يا إبن الذين! ألست أنت من تركه أولا! ...أنت من يتحمل مسؤولية ما حدث و لست أنا!

معلمة الإجتماعيات: *(ترتجف بالكامل)* ...هل قتله؟...هل مات! مات! هل ذهب للبرزخ...؟

معلم التربية الدينية :*(مغمضاً عينيه و رافعا رأسه للسماء داعيا مع الميت)* فليرحمه الله، لقد كان أستاذاً لا مثيل له، لا أدري لما الأشخاص الأخيار يتوفون، أما الأشرار فيبقون...

معلم اللغة الفرنسية :كله بسبب أستاذ اللغة العربية المهمل ذاك! لقد أخبرته أنه من الأحسن أخذه للشرطة...لقد أخبرته! لكنه أبى...أنتم تتذكرون، والأن هاهي النتيجة.

الأستـــــاذ : لقد صاروا جثتين الأن...جثتين ملقاتين تتداعسهما الحشود الثائرة، وليستا في قبريهما حتى، ليحظتا ببعض الراحة...ما ذنبهما؟ ماذا فعلوا؟ لقد كانوا أشخاص ملتزمون، محترمون، مقدرون و يقومون بواجبهم على أكمل وجه. ماذنبهما ليلقيا حتفهما على هذه الطريقة البشعة؟ ماذنبهما ليصيرا في مثل هذه الحالة الحرجة؟

المـــــجرم :*(يحرك لسانه بين أسنانه المكسرة)* لم يكونوا عند حسن الظن! إنهم نوع من النقص و الرتابة المكروهين، لم يستجيبا أبدا للقيم النبيلة، لم يستوفوا ما يكفي من المعرفة الصالحة، إنهم كالأخطاء الفادحة في هذا المجتمع، أخطاء من نتاج التسرع و الإهمال، إنهم ذوات فاقدة للوعي بذاتها إلى حد لا يطاق، و مهنة التعليم الشريفة غير مرحبة بهذه الإعاقات بثاثا، كيف لهم أصلا أن يتجرؤو ويعتِبوا لسنوات هناك، إن ما أقدموا عليه لهو الجرم الأعظم.

فما من جرم أكبر و أشنع من قتل أسراب الوعي السارية في الذوات الإنسانية الفحلة و الصفحات البيضاء، التي تستقطب حصصهم.

إنهم لمجرمون مختلون و خطيرون، عقوبة جرمهم هي الإعدام و الإقصاء الجذري ...هي إزالتهم و مسحهم و تنظيف المجتمع منهم...و هذا ما قمت به، أنا المُخلِص و قاضي الحق، أنا العدل و القانون، أنا الجامع للقيم الأخلاقية و المبادئ الإنسانية السامية...

الأستـــــاذ :*(ممتعضا من قوله)* أنت جامع الويل و الهول الذريعين، يافاسد العرق و العرض؛ بعد أن سلبت ذوات نابضة بالحياة و الروح صلتها بأناها و غيرها و الكون كله...لقد قتلتهم يا همج! لقد قتلت! لقد إرتكبت العنف المطلق في أسوء حالاته و أبشعها. ولم تجني شيئ! لا شيئ!... سوى إنتظار عقابك الأوخم.

المـــــجرم :*(يبتسم لا مبالياً في صورة قبيحة)* أنا إرتكبت العنف...العنف السيئ....العنف الممنوع...أم تحبونه العنف المستور...أليس الإنسان يتميز بالعنف حسب ما كنتم تثرثرون قديما؟ ألست أنت و هو و جميعكم تقترفون العنف؟ أليس العنف اللعين فطريا في تركيبتكم المحرمة؟ أنتم المغشي عليهم، أنتم النواقص البديئة، إن من يعنِّفكم و يعنف المجتمع بأسره لهي الفرقة... الفرقة الفاجرة. إنها وحدها المذنبة...وحدها تتحمل مسؤولية جل المشاكل و المتاعب، وهي الوحيدة التي يجب أن تعاقب شر عقاب...والذي سيكون على أيدينا، نحن القادرون؛ إن كل شيء لفي قبضتنا و سنربح جولة الحرب اللعينة هذه لا محالة، فلتصغوا لي!

الأستـــــاذ : أيها المختل المجنون! إن ما تتفوه به لا يغدوا أن يكون سوى الحماقة على أختها، إنك جاهل بشمس أيلول، إننا لسنا في أزمنة الحرب و الكرب، إننا في فترة المعاصرة و زمن الحضارة.

فالدولة و القانون هما الذان يسودان و يحكمان، إن مجال العنف و الصراعات لم يعد موجودا، لم يبقى له أثر، لقد إختفى و تبخر، لقد ذاب و إنتثر. هل تسمع أيها الحجر، فلتستيقظ من سباتك لتقضي عقوبة سجنية مميتة؛من شأنها أن تفقدك صوابك إذا حدث و إستعدته.

المـــــــجرم : *(صارخا في إنفعال)* أصمت! أصمت! اللعنة عليك! ما خطبكم يا مرفوعون! هل هرع وعيكم و إضمحلت بصيرتكم؟ إننا مظلومون! لقد تلاعبوا بنا، لقد خدعونا...يجب علينا أن نكون الوحدة الآن، الوحدة الملتحمة و القبضة الاكمة. و أن نستعيد ماء وجهنا و كرامتنا، إننا على حق و في الطريق الصحيح. يجب أن تفهموا ! يجب أن تفهموا ! نحن الآن القانون...لقد صرنا نمثله، إننا الحق و القانون و قوتنا في وحدتنا.

الأستـــــاذ : *(ينتفض بيديه غاضباً)* لا! لا! هذا خاطئ! هذا غير مقبول أبدا! إن العنف لا يواجه بالعنف، إن ما تحاول الإقدام عليه لجرم و معارضةخطيرة للسلطة الحاكمة. هنا يوجد قانون! لقد أخبرتك، ألا تفهم؟ ألا تسمع كلماتي؟ أخبرتك أنه مادام هناك قانون قائم في الدولة لا يجدر بأي أحد مهما كان تجاوزه أو التمرد على مقتضياته بأي شكل من الأشكال. و ما تنويه و تمهد له أنت و شيطانك الآن هو تشريع قوانينكما الخاصة و تطبيقها...وهذا عين الجنون، و إقترافك القتل لسخط أعظم على الأخلاق السائدة و القيم...أنت لا تصلح حقا سوى للمقصلة يا خنزير البركة .

المـــــــجرم : أنت هو خنزير البركة و كلب الفرقة، ماذا يعطونك...؟ العظام! ياللعار، بعت شرفك رخيصا إذن. إن العنف يا حثالة هو القائم في الدولة و ليس القانون أو الهراء، الدولة الهزيلة...لقد عنَّفوها بشدة... كفرنسا الحقيرة مثلا، ألم تعنِّفها شر تعنيف و نهبت خيراتها وثرواتها، وما من إبن قزم حرك ساكناً أو تجرئ على الإعتراض. لم تكن دولتنا ذات همة أبدا، و عمرها ستكون مع مخنتين أمثالكم...دولة الضعفاء و المرضى... متى عساه الوعي يسري في سراديب أعصابكم العاصية !

معلمة الإجتماعيات: *(معارضة بشدة)* كلا! هذا غير صحيح بثاثا، تم التصدي للعنف الإستعماري عبر مقاومات مسلحة عديدة، قادها شجعان و أباطرة مغاربة معروفون، مثل موحا أحمو الزياني، عسو أوبسلام و محمد بن عبد الكريم الخاطبي. إن هؤلاء تصدو للإستعمار الفرنسي الإسباني ببسالة و حنكة و تمكنوا من طرده بكل جدارة.

المـــــــجرم : *(يهزء)* طردوه! طردوه! بل زعتروه! المستعمر العفن لا يزال ليومنا هذا قابع في وطنك...الملاعين! إنهم أينما ذهبت كالذباب القدر حامل البزق، إنها لرمزيات تلك الدعايات و الأعياد المخلدة لإستقلالكم، إنها لشكليات لا أساس لها من الصحة و الحقيقة. مجرد إيديولوجيات خبيثة تخدم مصالح فرقة الشر لتمارس عن طريقها القهر.

الأستـــــاذ : إن ما هو ثابث و موثوق لا يقبل الشقوق، فلتخرس و لتنتظر عقوبتك القصوى بين دينك و دنياك...تحاول إصلاح ماهو مكسور في داخلك بكسر كل ماهو صالح من حولك ...إنك لعابث خاسر فاته الأوان، تعبث بالمفاهيم، بالمعاني، بالأخلاق و القيم، بالذوات الإنسانية و بكل ما يحلو لك،لكن، هل تعرف؟ إنك أكثر واحد تم العبث به.

معلم الطبيعيات :*(يخاطب الأستاذ في شغف)* إنه مريض عقلي! ما رأيكم أن نقتله بأيدينا و نقضي على وجوده الطبيعي بيننا.

(لحظة صمت، الجميع يحملق في معلم الطبيعيات)

المـــــــجرم :*(ينفجر ضحكا)* ماذا! هل ستقتلني يا عالم براز الحشرات؟ هل ستستعين بحشرة في فعل ذلك أم نباتة...؟ إذهب و إلا تبولت عليك!

معلم الطبيعيات :*(منزعجا)* تبا لك! أنك لسفاح كافر بالله، كل ما تجيده هو الذبح و التقطيع كجزار مجنون...(يصرخ)عليك أن تموت! يجب علينا أن نقطعه إربا إربا...

بأنفسنا علينا أن ننتقم لزملائنا الذين أوذى بحياتهم...

أستاذة المعلوميات :*(منفعلة)* متفقة معك! إنه مذنب حتما، و يبدو لي صائبا جدا أن نعاقبه بأنفسنا، إن ذلك لأفضل بكثير، إذ الموت مقابل القتل، كما الأجر مقابل العمل.

الأستـــــاذ :*(مندهش و غير مصدق)* ماذا؟ هل فقدتما عقليكما أنتما الإثنان؟ هل تريدان أن تغدوان مجرمان بدوركما؟ هل ترغبان أنتما أيضا في سلك طريق العنف ذاك؟ هل إقتنعتما بكلامه الامعقول و الامقبول؟ هل هذه نتائج العلوم...؟ أن نحصل على خارقين للقانون !

معلم اللغة العربية :*(سائما من الوضع)* خربت! خربت! ويلتاه! ماذا عسانا الأن نوقف؟ مجرما واحدا أو قطيعا من المجرمين، هل بدأ الجميع يفقد صوابه هنا أم ماذا؟

معلمة الإجتماعيات: (مفكرة) هل تعلمون...؟ بدأت تتضح لي الصورة الأن...بدأت تبرز لي فحوى الأمر...إنها تلك السذاجة، تلك النزعة الفارغة نحو ما هو مختلف و غير مؤلوف، ذلك الميل لإصتدافة الخيارات الجانبية، ذلك القصور في البصيرة و إنعدام الصراحة مع الذات الفقيرة، ذات أساتذة العلوم، إنهم فاقدون قطعا للوعي بها مجملا و مكملا، و إلا لما كانوا إنجذبوا مع التيار الأخلاقي الذي يروج له هذا المجرم الخبيث.

أستاذة المعلوميات :*(منزعجة)* هذا ليس صحيحا! أنا لم أنجذب لأي تيار لاأخلاقي أو ضوئي، بل عبرت عن ما خالجني فقط، فأنا حرة في أبداء رأي على كل حال. أما قيمكم و تلك الأخلاق و القانون، هذه الخربقات لا أفهم مغزاها حتى... فأنا مجرد معالجة للمعلومات الرقمية، لكن معاملة الشخص بالمثل في هذه الحالة بدت لي مناسبة، فعقوبة القتل تليق أن تكون الموت كثأر للضحايا.

معلم الطبيعيات :*(ينظر إليها في إعجاب)* أنا معك قلبا و قالبا! إنّ هذا المجرم المتعوس، ذو الوجه المنحوس أنا من سيطلق عليه حكمه الإعدامي، و أكلفك أنت بصفتك المنفذة الرسمية لأحكامي الشخصية، أن تطبقيه عليه!

معلم اللغة العربية :*(ينفجر غضبا)* أيها الجاهلان، هل صرتما دون وعي بذواتكم ؟ أتتطاولان على القانون لفظيا و تمهدان لإختراقه فعليا؟...فلتمسكوا بهم! هيـــا! المتهم لن يتم الحكم عليه سوى طبقا للقانون و ما جاءت به الدولة، لا زيادة و لا نقصان!

المـــــــجرم :*(مستهزءا)* يالا السخف! يالا التفاهة! يا مغفلين! نحن لسنا في المحكمة بعد، لذا لا تحسبوا أنفسكم قضاة و محامون علي، فأنا لست تحت رحمة حكمكم اللعين هذا! فلتذهبوا جميعا للجحيم! لقد بدأ يحل الظلام، وقد تراجعت الحشود الثائرة كلها بسبب إحتجازكم لي و عويلكم علي كالنساء طوال النهار...أنظروا! لم يعد هناك أحد غيرنا نحن و الجثتان اللتان كانتا في عداد فاقدي الوعي بالذات.

أستاذة المعلوميات :(*تقترب من المجرم*) أيها المجرم الثرثار! هل عمرك تناولت المحار؟

معلم اللغة العربية :(*يخاطب معلم اللغة الإنجليزية بصوت مرتفع*) كفى! كفى! لقد حل الليل، ماذا سنفعل؟ هل إتصلت بالشرطة؟ هل هم الآن في طريقهم إلينا؟

معلم اللغة الإنجليزية :(*يومئ سلبا برأسه*) أخبروني أن المنتخب يلعب مباراة ...ليس بوسعهم القدوم أو تطبيق القانون أو القيام بالواجب إلا بعد نهايتها.

معلم اللغة الفرنسية :(*قافزا من الدهشة*) ماذا ! هل هناك مباراة كرة قدم؟ لم أكن أعلم! (*غادر كالسهم*)

أستاذة المعلوميات:(*تغني و ترقص فرحا*) إنها ترعد إنها ستمطر! إنها ترعد إنها ستمطر! لللـــــــــا للـــا! هيا غنوا ! لللـــــــــا للـــا!

معلم الطبيعيات : (*يغني في سرور و بهجة*) لللـــــــــا للـــا ! إنها ستمطر إنها ترعد! إنها ستمطر إنها ترعد! لللـــــــــا للـــا ! مطر! مطر!

معلمة الإجتماعيات:(*مرتعبة*) يا إلهي لقد بدأت تمطر! أنا لا أريد أن أجن! لازلت في حاجة لوعي ذاتي بذاتها، هل سيحل العوز العقلي على هذا المجمع بكامله؟ هل سيصبح الوعي الإنساني وهما للتفكير الألي؟

الأستـــــاذ : *(متفاجئا)* ماذا بهم؟ ماذا جرى لهم؟ هل فقدوا جميعا وعيهم بذاتهم، أم هويتهم التي فقدوا...لكن حتى لو كان كذلك فالذات المثالية أيضا ليست دائما تلك الواعية بذاتها فقط، أليس كذلك؟ و الهوية أيضا؟ فالهوية أصلا ليست بالشيئ الثابث فالوجود يسبقها، لكن ماذا لو كان هذا مجرد عصف للماهية الرائجة بدأ يخترق قالبي الأخلاقي القيمي و أنا لا أدري...رباه! هل سيعتريني الجنون أنا أيضا! هل سأغدو مجنونا مثلهم بعد لحضات؟

الـــــــراوي : بدأت الأمطار تهطل بغزارة على أساتذتنا، المجرم قد كف عن المقاومة و المجاحدة، ربما قد إستسلم فعلا، شيئ عادي. لكن رغم ذلك، لايزال معلما اللغتين العربية والإنجليزية يتابعان تقييد حركته و تسمير خفته، بينما الباقون، بعض منهم في خضم التفوه بالهراء و الحماقة، بعض أخر في خضم الصدمة جراء ما يسمع و يرى، بعض أخر يرتجف منه و بعض صامت لاقط اللسان متكئ على الحائط. فجأة حدثت كارثة مروعة لم تكن أبدا في حسبان الشجعان، كارثة لا يتقبلها عقل و لا يُعلم بها الزمان، إنها كارثة طبيعية نزلت كالوتد على المجمع أودت بحياة إثنين من أعضائه...بكل قدرية و حتمية لا نزاع فيهما، لقد كانت الضحيتان أستاذة المعلوميات و معلم الطبيعيات...

إذ بينما الفقيدين يقفان على الأرض و يستنشقان هواء الحياة تنزل على رأسيهما صاعقة برقية فائقة الصدى و هائلة المدى ضربت كيانيهما أحرقت الشعر و الجلد الذان لطالما كانا محطة إهتمام لديهما، أتلفت العروق و خربت الأنسجة اللواتي كن دائما يأذن وظيفتهن، عكرت الدم و أوقفت نبض القلب الذي حوى مشاعر و عواطف جل الظروف، أما الدماغ فكان سلفا موقوف.

معلم التربية الدينية :*(خائف مرتعا)* الله أكبر! الله أكبر! حانت الساعة! الله أكبر! أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله!

معلمة الإجتماعيات:*(مصدومة من المشهد)* أنا لا أريد الموت...لا أريد...لن أموت! أنا لست مجنونة! سأعيش... أنا واعية بذاتي! *(تصرخ)*

معلم اللغة العربية :*(منفعلا)* اللعنة! إهدئوا! أصمتوا! لن يموت أحد، إنها حكمة و قدر، فالطبيعة ليست بيدنا، إنها في يد الواحد الأحد سبحانه و هو من يحمينا و يحفضنا.

معلم اللغة الإنجليزية :*(معارضا)* لن يموت أحد! هل تسخر منا أو ماذا ؟ إنها الصاعقة و ما أدراك ما الصاعقة، و محتمل جدا أن تضرب مرة أخرى، هل تريدنا أن ننتظرها إلى أن تعاود ضربتها...أمجنون أنت؟ *(أفلت المجرم و بدأ يبتعد عنهم بخطوات)*

معلم اللغة العربية :*(يترك المجرم أيضا)* فلتذهب! أنا أصلا لست من يجب عليه القبض عليك! ليس شأني !

المـــــــجرم :*(ينهض من الأرض)* لقد أخبرتكم، لا يوجد قانون! والأن... مجنونان أخران وافتهما المنية...لكن، لما على تلك الحالة المزرية؟ و خصوصا بعد تفوههم بتلك العبارات الغير مجدية، هل من الممكن أن تكون تلك العلوم التجريبية؟ تلك السكين الحافية، التي لم تستطع قطع الطبيعة الوفاتية؟ لما تصلح إذن؟ ياللمهزلة! لقد فارقوا الأن هذه الأجساد الجامدة دون رجعة، الأجساد التي كانت تحدد وجودهم وجود النكرات، ياللقرف!

(يغادر المكان في بطئ)

معلم التربية الدينية :*(يغمض عينيه)* عودوا إلى أنفسكم! عودوا إلى أنفسكم! و لنشرع في صلاة جنازة على هذه الجثث، فرائحتها بدأت تفوح.

معلم اللغة الإنجليزية :*(يقترب منهم)* صدقت! إنها لرائحة نافتة وكريهة، أشبه ما تكون برائحة الجيفة!

معلمة الإجتماعيات: تبولوا عليهم! تبولو و ستنقص الرائحة، لقد قرأت ذلك في كتاب لعلم الأحياء، إنها لمؤذية رائحة الجيفة تلك، وقد تسبب أضرار جسيمة على صحة الفرد مادام يسنشقها.

معلم اللغة الإنجليزية:(*بدأ يفتح حزامه*) حقا! هل صحيح ما تقولين؟

المـــــــجرم :(*ينهره من بعيد*) توقف لا تفعل! هل تنسط لتلك المجنونة؟ عار عليك! هل تنوي أن تزيد عبدا نجاسة على نجاسة، دنس على دنس، لقد فروا بذوات دنسة يملؤها الوسخ و المسخ الفكري، يكفيهم ذلك! يكفيهم! (*يكمل سيره*)

الأستـــــــاذ : إني أشعر بالبرد القارص يخترق أحشائي و يهشمها، قد نموت بردا نحن الأخرون إن لم نجد مكان دافئا نسترجع فيه سخونة أجسادنا، فهذا المطر ليس بالطبيعي أبدا على ما يبدوا، إنه لكالسم القاتل مجمد العقول و السيف المسلول قاطع السبل.

معلم اللغة العربية :(*مرتبكا*) كيف! أنذهب و نترك أربع جثث ورائنا، إثنان مقتولان بالسلاح الأبيض و إثنان مصعوقان بشبح الطبيعة، أيعقل هذا ! فل تتصلوا بأحد ما! إتصلوا بالإسعاف ! إتصلوا بالإطفاء! إتصلوا بأي كان، بمستودع الأموات بتاجري الأعضاء أي كان !

معلم اللغة الإنجليزية:(*متوثرا*) سأجرب الإتصال بهم جميعا...

معلمة الإجتماعيات:(*تصيح خائفة*) لكن إذا لم نتحرك قبل فوات الأوان من الممكن أن نتجمد بردا و نموت، ألم تسمعوا؟ هيا بسرعة! (*بدأت في التحرك*)

معلم اللغة الإنجليزية :(*يتصل بأحدهم*) لحظة!...

معلم اللغة العربية : من؟

معلم اللغة الإنجليزية : إنه الإسعاف، أخبروني أن جميع السيارات مشغولة حاليا...ستكون إحدها متوفرة الأسبوع القادم.

معلم اللغة العربية : تبا! جرب إتصل برقم أخر! (*معلم اللغة الإنجليزية يتصل مجددا*)

معلم اللغة العربية : من؟

معلم اللغة الإنجليزية : الإطفاء! لكن جميع شاحناته في خضم إخماد نيران إندلعت بغابات الأرغان، قام البوليزاريو بإيقادها...

معلم اللغة العربية : اللعنة! ما العمل؟ هل نذهب...أمتأكدون من قراركم؟

معلم التربية الدينية : غير جائز شرعا، لهم علينا حق الجنازة، كرهنا أم أبينا...

معلم اللغة الإنجليزية :(*يتصل مرة أخرى*) لحظة! لحظة! إنتظروا!

معلمة الإجتماعيات : بمن تتصل هذه المرة؟

معلم اللغة الإنجليزية : تاجري الأعضاء...مرحى! إنهم قادمون على الفور.

معلم اللغة العربية : و أخيرا!

معلمة الإجتماعيات : نعمة هي تلك الخدمة، إنها الشيئ النافع الوحيد الذي وفرته لنا فرقة الخير...

الـــــــــراوي : بعد دقائق تظهر سيارة تجاري الأعضاء، و تبدأ في تحميل الجثث الهامدة و الملقاة أرضا، فيما يغادر أساتذتنا المكان عائدين من حيث أتوا.